رسالة في مدح السعي وذم البطالة

فضيلة الشيخ

شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا (ت ٩٤٠)

تحقيق

أبي عاصم البركاتي المصري

دار الدعوة

رسالة في مدح

السعي وذم البطالة

لابن كمال باشا (ت ٩٤٠ هـ)

تحقيق

أبي عاصم البركاتي المصري

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على خير أنبيائه وسيد رسله؛ سيدنا محمد؛ عليه وعلى آله وصحبه ؛ وبعد:

فهذه رساله للعالم الكبير والمحقق النحرير والقاضي الحنفي المعروف بابن كما باشا رحمه الله تعالى؛ بعنوان "رسالة في مدح السعي وذم البطالة" يدعو فيها المسلمين إلى العمل والأخذ بأسباب الرزق؛ ويبين ذم الكسل والبطالة؛ ويدلل من الكتاب والسنة على فكرة البحث والكتاب؛ ويستشهد بشواهد الشعر وأقوال السابقين؛ وهي رسالة جيدة على قصرها وعدم بسطها؛ وكنت منذ سنوات نسخت النص من أصله المخطوط؛ مخطوط جامعة القاهرة؛ وذلك لما كنت بصدد الكتابة في بيان فضل السعي وطلب الرزق؛ ثم أهملت التعليق عليه؛ ثم في أثناء التقليب في الأوراق وقفت عليه؛ فنشطت همتي للتعليق عليه بحاشية تقربه للقارئ وتوضحه للناظر؛ فبحثت عن مخطوطات أخرى للرسالة ؛ وعملت عليه حاشية وضحت فيها

بعض الفروق بين النسخ الخطية؛ وترجمت لبعض الأعلام وخرجت الأحاديث النبوية وعزوت الآيات القرآنية؛ وترجمت لمؤلف الرسالة ابن كمال باشا رحمه الله تعالى ؛ وقد اعتمدت على الأصل المخطوط؛ وهو مخطوطة جامعة القاهرة رقم(٢١٢٥٤) ورمزت لها بحرف ج ؛ وستأتي صورتها كاملة؛ ونسخ خطية أخرى منها صورة مخطوطة مكتبة برلين ضمن مجموع برقم٦٠١١ ؛ ورمزت لها بحرف ب.

والله وحده من وراء القصد وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه.

وكتب ذلك / أبو عاصم البركاتي المصري

شوال ١٤٤٣ هـ

هاتف/ ٠٠٢٠١٠٦٤٧٦٣١٩٥

****

ترجمة المؤلف

اسمه:

أحمد بن سليمان بن كمال باشا، شمس الدين المعروف بابن كمال باشا شيخ الإسلام الرومي الحنفي توفي سنة ٩٤٠ أربعين وتسعمائة؛ قاض وعالم مشارك في كثير من العلوم.

مولده ووفاته : لا تعرف سنة ميلاده تحديدا (؟ - ٩٤٠ هـ - ١٥٣٣ م).

قال التاجي:

قلما يوجد فن من الفنون وليس لابن كمال باشا منصف فيه. تركي الأصل، مستعرب. تعلم في أدرنة، ثم صار مدرسا بمدرسة علي بك ، واسكوي الخليفة والثمان والسلطان بايزيد خان بأدرنة ، ثم صار قاضيا بها ، ثم صار مفتيا بالأستانة إلى أن مات .

مؤلفاته:

ولم يقتصر فيها على اللغة العربية، بل إنه أَلَّفَ وصنَّفَ بالفارسيةِ والتركيةِ أيضاً.

ومن مؤلفاته الكثيرة:

إيضاح الإصلاح ، في فقه الحنفية .

من تصانيفه الآداب.

- الآيات العشر في أحوال الآخرة والحشر.

- أربعين الحديث.

- أشكال الفرائض الإصلاح

- إظهار الإظهار على أشجار الأشعار في الأدب.

- تاريخ آل عثمان تركي إلى سنة ٩٣٣.

- تجريد التجريد متن وشرح في الكلام.

- تحقيق معنى الأيس والليس.

- تحقيق مقال القائلين.

- تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معاني الدقيق.

- التعريفات.

- التعريف والإعلام.

- تعليقة على التهافت لخوجة زاده.

- تعليقة على الغرر والدرر لملا خسرو.

- تعليقة على أوائل التلويح اللتفتازاني في الأصول.

- تعليم الأمر في تحريم الخمر.

- تغيير التنقيح على تنقيح الأصول.

- تغيير المفتاح للسكاكي.

- تفسير سورة الملك.

- تفسير القرآن إلى سورة الصافات.

- تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان.

- التنبيه على غلط الجاهل والنبيه.

- حاشية على شرح السيد للكشاف.

- حاشية على لوامع الأسرار شرح مطالع الأنوار في الحكمة حاشية على شرح المواقف في الكلام.

- دقائق الحقائق في اللغة.

- راحة الأرواح في رفع عاهة الأشباح.

- ريحان الأرواح في شرح المراح.

- شرح الجامع الصحيح للبخاري.

- شرح حديث الأربعين.

- شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض.

- شرح القنوت.

شرح مشارق الأنوار للصغاني.

- شرح مصابيح السنة للبغوي.

- شرح المقالة المفردة لعضد الدين.

- شرح الهداية للمرغياني في الفروع.

- طبقات المجتهدين.

- فرائد الفوائد.

- فريدة التحري.

- الفلاح في شرح المراح.

- قواعد الحمليات.

- الكلام على البسملة والحمدلة.

- اللواء المرفوع.

- محيط اللغة في اللغات الفارسية والعربية.

- مدح السعي وذم البطالة وهي موضوع التحقيق .

- مرآة الجنان. مقال القائلين.

- المنيرة في المواعظ.

- مهمات المسائل في الفروع.

- النجوم الزاهرة في أحوال مصر القاهرة.

- نزاع الحكماء والمعتزلة بالأشاعرة.

- نزهة الخاطر.

- نكارستان في الأدب والأمثال.

- يوسف وزليخا منظومة تركية.

مصادر الترجمة:

- الأعلام للذركلي (١/ ١٣٣) .

- الشقائق النعمانية طاشكبري زادة ٢٢٦-٢٢٧ دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٥م.

- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للشيخ نجم الدين الغزّي ١٠٧/٢-١٠٨ تحقيق د. جبرائيل سليمان جبّور. منشورات دار الآفاق الحديثة - بيروت ط (٢) ١٩٧٩م.

رسالة في مدح السعي وذم البطالة

لابن كمال باشا

تحقيق

أبي عاصم البركاتي المصري

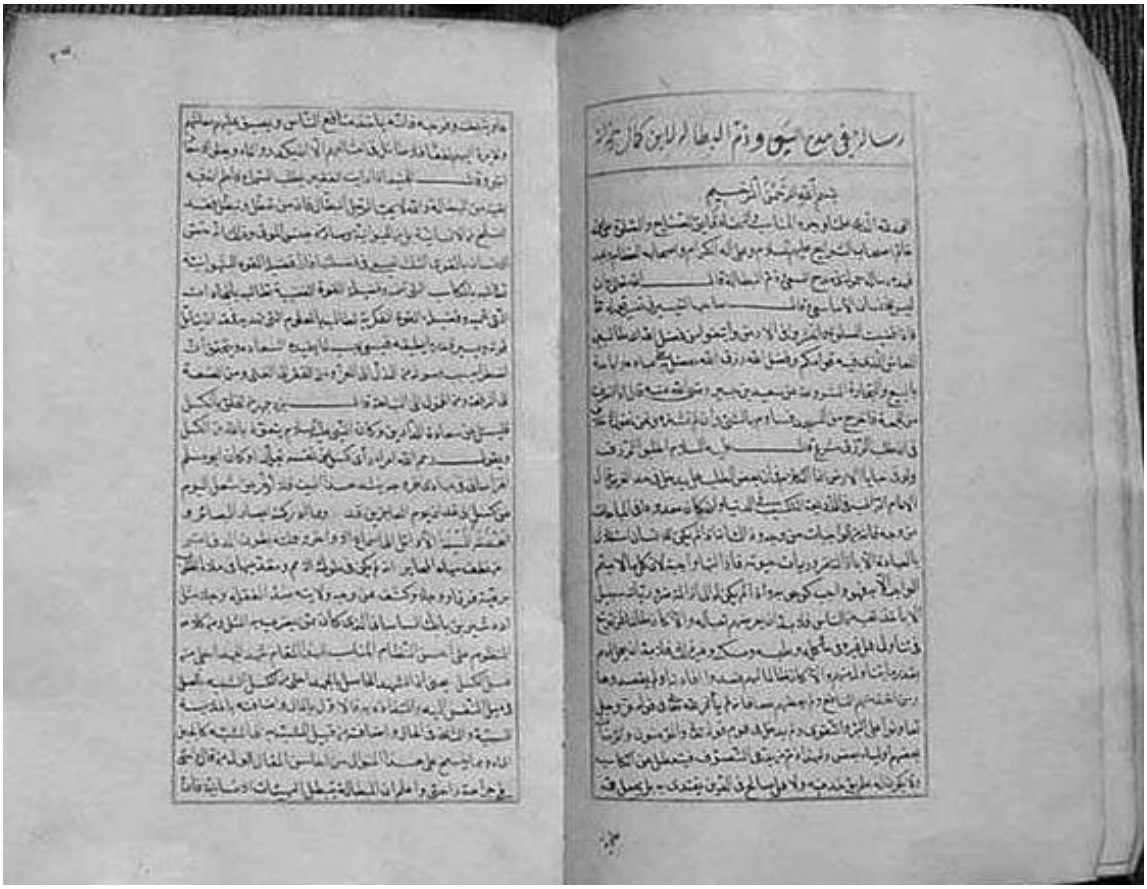

الصفحة الأولى والثانية من المخطوطة ج

[مخطوطة جامعة القاهرة]

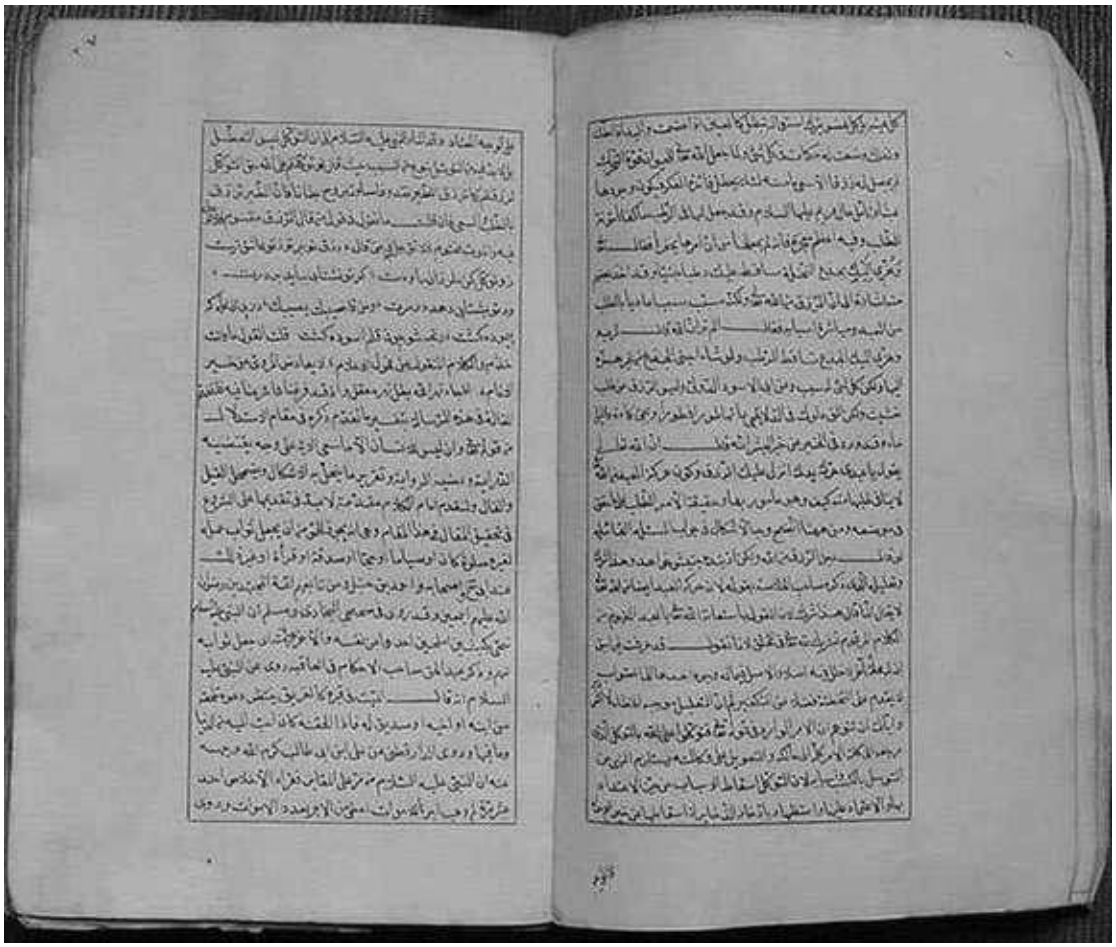

الصفحة الثالثة والرابعة من ج

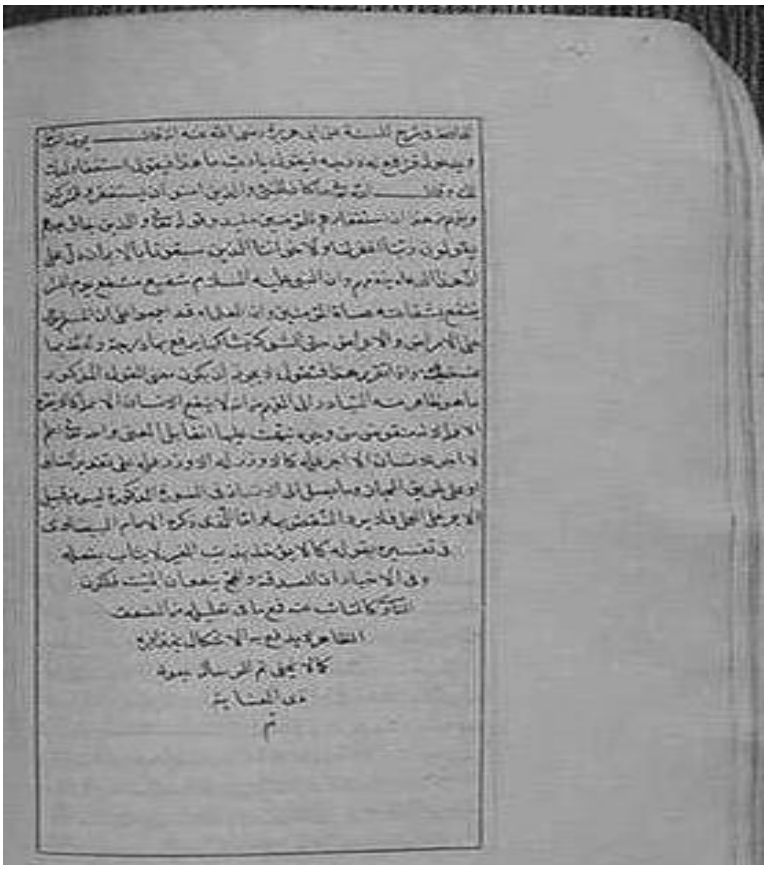

الصفحة الأخيرة من ج

من رسالة في مدح السعي لابن كمال باشا

123

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علمنا وجوه المكاسب والهمنا وجوه المطالب والصلوة على محمد خاتم اصحاب الشرايع عليه السلام وعلى آله الكرام وبعد فهذه رسالة مسؤولة في مدح السعي وذم البطالة قال الله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقال صاحب التيسير في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اي طالبين المعاش الذي فيه قوامكم وفضل الله الرزق الذي يفضل به عباده واياه بالبيع والتجارات المشهورة وعن سعيد بن جبير رض اذا انصرفت من الجمعة فاخرج من المسجد فسأوم شيئا بغية وان لم تشتر وتحن نقول لا خلاف في ان طلب الرزق مشروع قال صلعم اطلبوا الرزق في خبايا الارض انما الكلام في ان بعض الطلب هل يدخل في حد الفرض قال الامام الراغب في الذريعة اكتسب في الدنيا وان كان معدودا من المباحات من وجه فانه من الواجبات من وجه وذلك انه اذا لم يكن للانسان الاستقلال بالعيشة الا بازاء ضروريات حياته فازالتها واجبة لان كل ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب كوجوبه واذا لم يكن له الى ازاء الضروريات سبيل الا باخذ نصيب من الناس فلا بد ان يعوضهم نصاله والا كان ظالما فمن توسع في تناول عمل غيره في مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك فلا بد ان يعمل لهم عملا بقدر ما يتناولونهم والا كان ظالما لانهم قصدوا افادته اولم يقصدوا ومن اخذ منهم المنافع ولم يعطهم نفعا فانه لم يأمر الله في قوله عز وجل تعاونوا على البر والتقوى ولم يدخل في عموم قوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ولهذا ذم من يدعي التصوف فيتعطل عن المكاسب ولا يكون لعلم يؤخذ منه ولا عمل يقتدى به بل يجعل همته عماده بطنه وفرجه فانه ياخذ منافع الكاسبين ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد اليهم نفعا فلا طايل في امثالهم ان يكدوا انفسهم ويغلوا الاسعار انتهى وقال الجنيد رح اذا رايت الفقير يطلب العلم فاعلم ان فيه بقية من البطالة والا لا يحب الرجال البطالين فالفقير يتعطل ويبطل نفعه اسفل من الانسانية بل من الحيوانية فصار من جنس الموتى وذكى الانسان بالقوى الثلث يسعى في فضيلتها فان فضيلة القوة النباتية تطالب بالمكاسب التي تميته وفضيلة القوة الغضبية تطالب بالمجاهدات التي تحميه وفضيلة القوة الفكرية تطالب بالعلوم التي تهذبه فحق ان يتأمل قوته ويسير قدر طاقته فيسعى بحسبه لما يفيده السعادة ويتحقق ان اضطراره بسبب وصوله من الذل الى العز ومن الفقر الى الغنا ومن الغضبية الى الرفعة ومن الخمول الى السيادة عن علي بن رزين رض من تخلق بالكسل قلس عن سائر المدارج وكان النبي صلعم يتعوذ بالله من الكسل ويقول رحم الله امرء راى من نفسه تكاسلا وكان ابو مسلم الخراساني في مبادي خروجه ينشد هذا البيت فلا اذا خر شغل اليوم عن كسل الى غد ان يوم العاجزين الغد وما ادركته ابصار البصاير وابهدته السنة الاوايل اسماع الاواخر وحملته بطون الدفاتر من نظف ميدان الحابر ان لم يكف في ملوك الامم ومقدمها من ملاعبة القلوب لرغبتها فرقا ووجلا وكشفت عن وجوه لا يتهنى عن الغفلة وجلا مثل اردشير بن بابك الساساني الذي كان ممن يضرب به المثل ومن كلام المنظوم يحسن النظام المناسب بهذا المقام شهد الجهد احلى من عسل الكسل يعني ان الشهد الحاصل بالجهد احلى من الكسل الشبيه بالنعاس في ميل النفس اليه والتذاذه به فالاولى في المال واضافته بملاسة سببيته والثاني في الحال واضافته من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه كلجين الماء ومما نسج على هذا المنوال من احاسن المقال قول من قال راحتي في جراحة راحتي واعلم ان البطالة تبطل الهيئة الانسانية فان كل هيئة بل كل عضو تركب استعمالة تبطل كالعين اذا غمضت واليد اذا ابطلت ولذلك اذا وضعت الحكمة في كل شيء والاجمل الله للحيوان قوة الفكر لم يجعل له درقا الا ليسعى بها منه لئلا يتعطل فايدة ما جعل له من قوة الفكر ولما جعل الانسان المفكر يدرك من كل شيء انفعها عليه مما يصلح به لفكرته لئلا يتعطل فايدة الفكر فيكون وجوده عابثا وتامل احال مريم ع وقولها اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا مؤنة الطلب وفيه اعظم عبرة فانه يخلها من ان امرها بهزة فعال الله وجزى اليك يجتنى الخلال فما فط عليك رطبا جنيا وتوا خذ بعضهم اشارة الى ان الرزق

الصفحة الأولى من المخطوطة ب

الصفحة الأخيرة من المخطوطة ب

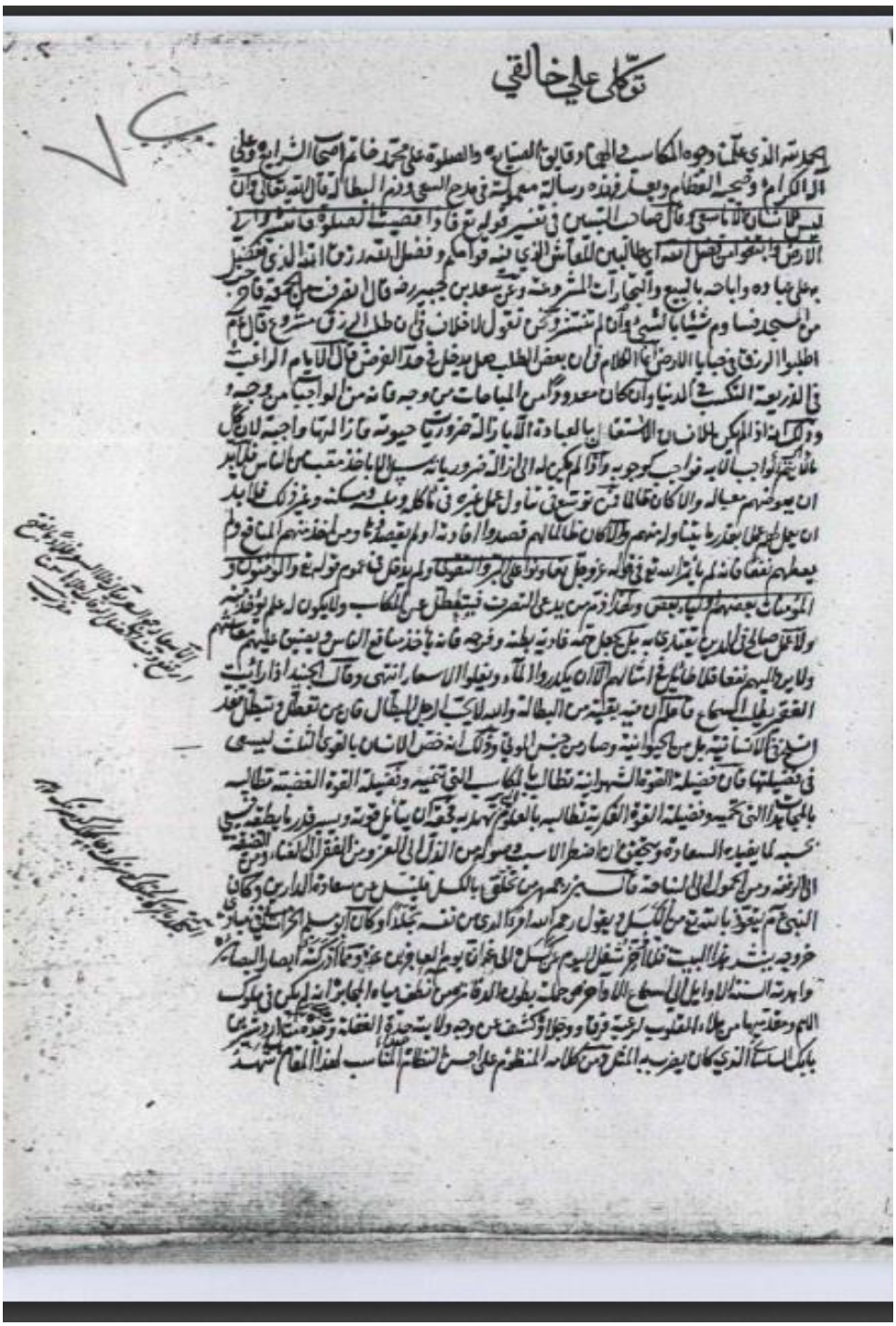

الصفحة الأولى

مخطوط جامعة أم القرى مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز قسم المخطوطات

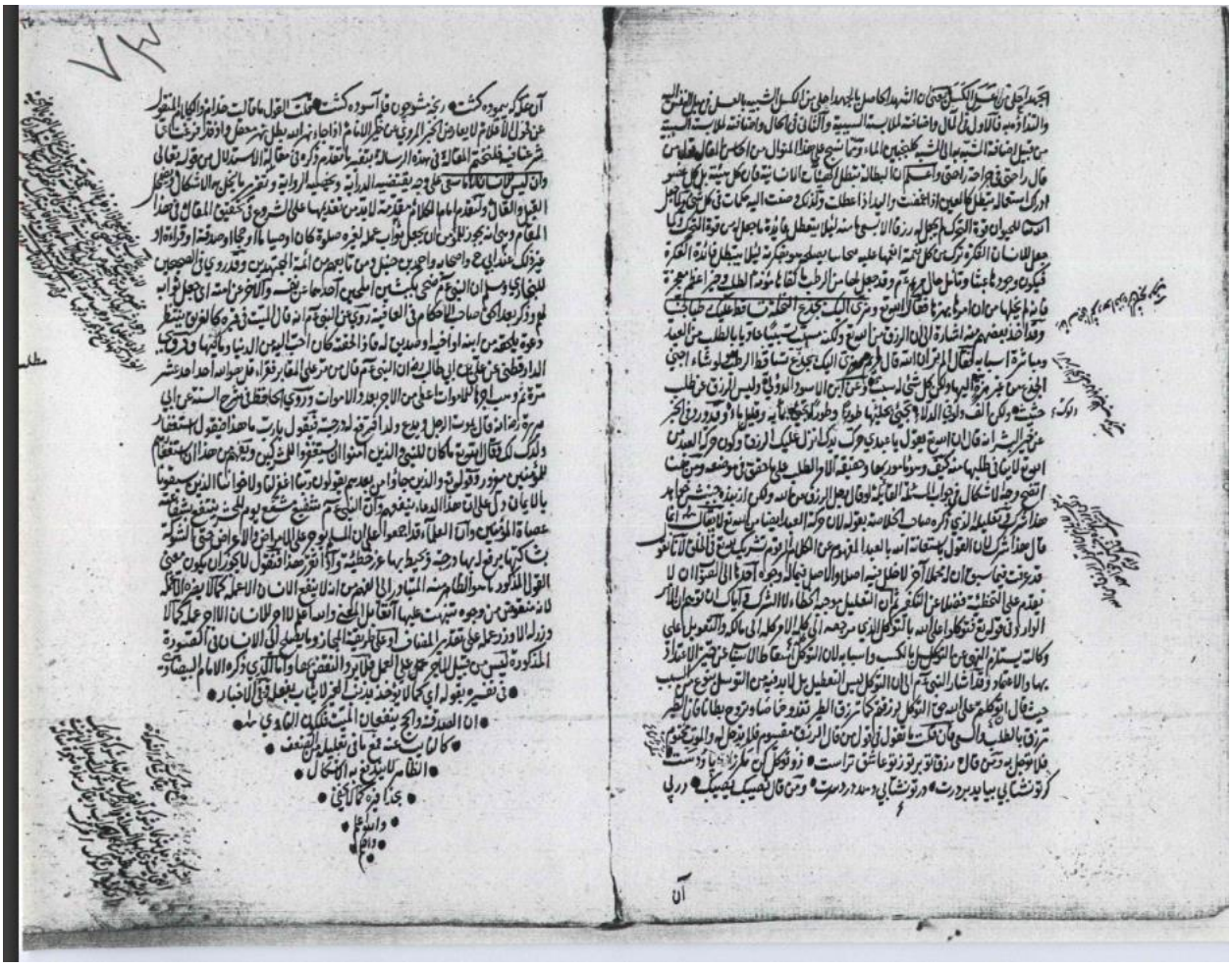

الصفحة الثانية والأخيرة جامعة أم القرى

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علمنا وجوه المكاسب، وألهمنا دقائق الصنايع؛ والصلاة والسلام على محمد خاتم أصحاب الشرائع؛ عليهم السلام وعلى آله الكرام وبعد فهذه رسالة معمولة في "**مدح السعي وذم البطالة**"، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾[1] وقال صاحب "التيسير"[2] في قوله تعالى:﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**﴾[3]

---

(١) سورة النجم: ٣٩.

(٢) "التيسير في التفسير" لنجم الدين النسفي ، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل؛ أبوحفص، نجم الدين النسفي (٤٦١-٥٣٧هـ) عالم بالتفسير والأدب والتاريخ؛ من فقهاء الحنفية ؛ ولد بنسف وإليها نسبته، وتوفي بسمرقند. قيل: له نحو مئة مصنف، منها " الأكمل الأطوال - خ " في التفسير، و " التيسير في التفسير - خ " و" المواقيت " و " تعداد شيوخ عمر " في شيوخه، و"الإشعار بالمختار من الأشعار " عشرون جزءا، و"نظم الجامع الصغير - خ " في فقه الحنفية، و"قيد الأوابد - خ " منظومة في الفقه، و " منظومة الخلافيات - خ " فقه، و" القند في علماء سمرقند " عشرون جزءا، و"تاريخ بخارى" و "طلبة الطلبة- ط" في الاصطلاحات الفقهية، و"العقائد - ط " يعرف بعقائد النسفي. انظر الأعلام للزركلي(٥ / ٦٠).

(٣) سورة الجمعة : ١٠.

أي طالبين المعاش الذي فيه قوامكم؛ وفضل الله الرزق الذي يفضل به عباده وإباحة بالبيع والتجارات المشهورة؛ وعن سعيد بن جبير[1]: " إذا انصرفت من الجمعة فاخرج من المسجد فساوم شيئًا بشيء وإن لم تشتر[2] " .

ونحن نقول: لا خلاف في أن طلب الرزق مشروع؛ قال ﷺ: "اطلبوا الرزق في خبايا الأرض[3]" .

---

(١) سعيد بن جبير (٤٥- ٩٥ هـ = ٦٦٥ - ٧١٤ م) سعيد بن جبير الاسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق. أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر. قتله الحجاج لمناصرته لابن الأشعث؛ قال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيدا وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه. راجع "الأعلام" للزركلي(٣/ ٩٣).

(٢) "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للسيوطي(١٤/ ٤٨١) ط هجر.

(٣) ضعيف جدا: أخرجه أبو القاسم البغوي في "حديث مصعب" رقم (١) وأبو يعلى في مسنده(٤٣٨٤) وفي فضائل الصحابة للإمام أحمد(٤٣١) والطبراني في "الأوسط"(١/ ٢٧٤) (٨٩٥) والقضاعي في "مسند الشهاب" (٦٩٤) ومدار الحديث على هشام بن عبد الله وهو ضعيف . قال ابن حبان (٣/ ٩١) :" يروي عن (هشام بن عروة) ما لا أصل له من حديثه ، كأنه هشام آخر ! لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا انفرد ، وهو الذي روى عن هشام عن أبيه ". وقال ابن الجوزي عن الحديث: قال ابن طاهر: لا أصل له.

إنما الكلام في أن بعض الطلب هل يدخل في حد الفرض؟ قال الإمام الراغب[1] في الذريعة[2] : " التكسب في الدنيا وإن كان معدودًا من المباحات من وجه فإنه من الواجبات من وجه؛ وذلك انه إذا لم يُمْكِنْ للإنسان الاشتغال بالعبادة إلا بإزالة ضروريات حياته فإزالتها واجبة، لأن كل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب كوجوبه؛ وإذا لم يكن له إلى إزالة ضروریاته إلا بأخذ تعب من الناس فلابد أن يعوضهم تعبًا له؛ وإلا كان ظالمًا؛ فمن توسع في تناول عمل غيره في مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك ، فلابد أن يعمل لهم عملًا بقدر ما يتناوله

---

(١) الراغب الأصفهاني: هو أبو القاسم الحسين بن الفضل بن محمد، يرجح أنه ولد في رجب من شهور سنة ٣٤٣ هـ ؛ من أهل أصبهان وعاش في بغداد، وقيل أنه من المعتزلة غير أن الإمام جلال الدين السيوطي قد أكد أنه كان من أئمة السنة وقرنه بالغزالي؛ وهو أديب، من الحكماء العلماء. من كتبه "محاضرات الادباء" – ط مجلدان، و"الذريعة إلى مكارم الشريعة – ط" و"الاخلاق" و"جامع التفاسير" و "حل متشابهات القرآن" و"تفصيل النشأتين – ط" في الحكمة وعلم النفس، و"تحقيق البيان – خ" في اللغة والحكمة، وكتاب في "الاعتقاد" و "أفانين البلاغة." نقلًا عن : راجع الأعلام للزركلي(٢ / ٢٥٥).

(٢) كتاب: "الذريعة إلى مكارم الشريعة" طبع بدار السلام – القاهرة ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م؛ تحقيق/ د. أبواليزيد أبو زيد العجمي.

منهم وإلا كان ظالمًا لهم ، قصدوا إفادته أو لم يقصدوا ، ومن اخذ منهم المنافع ولم يعطهم نفعًا، فإنه لم يأتمر لله في قوله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[1] ولم يدخل في عموم قوله ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾[2] ولهذا ذم من يدعي التصوف فيتعطل عن المكاسب ولا يكون له علم يؤخذ منه ولا عمل (صالح في الدين)[3] يقتدي به، بل يجعل همته هاوية[4] بطنه وفرجه، فإنه يأخذ منافع الناس ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد إليهم نفعًا فلا طائل في أمثالهم[5] إلا أن يكدروا الماء ويغلو الأسعار انتهى.[6]

---

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) ما بين القوسين من كتاب الذريعة.

(٤) هكذا في المخطوط، وفي الذريعة: عارية.

(٥) في الذريعة: مثلهم.

(٦) الذريعة ص٢٦٨.

وقال الجنيد[1]: إذا رأيت الفقير يطلب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة والله لا يحب الرجال البطالين.

فمن تعطل وتبطل فقد انسلخ من الإنسانية بل من الحيوانية فصار من جنس الموتى؛ وذلك لأنه خص الإنسان بالقوى الثلاث ليسعى في فضيلتها ، فإن فضيلة القوة الشهوانية تطالب بالمكاسب، التي تنميه، وفضيلة القوة الغضبية تطالب بالمجاهدات التي تحميه، وفضيلة القوة الفكرية تطالب بالعلوم التي تهديه، فحقه أن يتأمل قوته ويسير قدر تطيقه، فيسعى بحسبه لما يفيده السعادة ، ويتحقق أن اضطرابه سبب وصوله من الذل إلى العز، ومن الفقر إلى الغنى، ومن الضعة إلى الرفعة، ومن الخمول إلى النباهة[2] ، قال[3] بزرجمهر: من تخلق بالكسل فليتسل عن سعادة الدارين.

---

(١) أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري، الزاهد المشهور؛ ومولده ومنشؤه العراق، وكان شيخ وقته وفريد عصره، توفي سنة سبع وتسعين ومائتين، وقيل :سنة ثمان وتسعين . [وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٣٧٣)]

(٢) في ب: السياسة، وفي ج ما أثبتناه.

(٣) في ب عن، وفي ج ما أثبتناه.

وكان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الكسل ويقول: "رحم الله امرءًا أراني من نفسه تجلدًا[1]".

وكان أبو مسلم الخراساني في بادئ خروجه ينشد بهذا البيت:

فلا ادخر شغل اليوم من كسلٍ .... إلى غدٍ إن يوم العاجزين الغد

ومما أدركته أبصار البصائر، وأهدته ألسنة الأوائل أسماع الأواخر وحملته بطون الدفاتر من نطف مياه المحابر: انه لم يكف في ملوك الأمم ومقدمها، من ملأ القلوب لرعيته فرقًا ووجلًا ؛ وكشف عن وجه ولايته صدة الغفلة وجلى؛ مثل أردشير بن باباك الساساني الذي كان ممن يضرب به المثل؛ ومن كلامه المنظوم على أحسن النظام المناسب لهذا المقام : شهد الجهد أحلى من عسل الكسل.

(١) ثبت تعوذ النبي ﷺ من الكسل في الصحيحين وغيرهما؛ أما لفظ " رحم الله امرءًا أراني من نفسه تجلدًا" فلم أقف له عليه في كتب الحديث المسندة.

يعني أن الشهد الحاصل بالجهد أحلى من الكسل الشبيه بالعسل، في ميل النفس إليه والتلذذ به ، فالأول في المال وإضافته لملابسة سببيته، والثاني في الحال وإضافته من قبيل إضافة المشبه به إلى المشبه ، كلجين الماء، ومما نسج على هذا المنوال من أحاسن المقال قول من قال : راحتي في جراحة راحتي[1].

واعلم أن البطالة تبطل الهيئات الإنسانية، فإن كل هيئة بل كل عضو ترك استعماله تبطل، كالعين إذا أغمضت واليد إذا أبطلت ، ولذلك إذن وضعت إليه حكمات في كل شيء، ولما جعل الله للحيوان قوة التحرك لم يجعل له رزقًا إلا ليسعى بما معه لئلا يتعطل فائدة ما جعل له قوة التحرك، ولما جعل للإنسان الفكرة ترك من كل نعمه أنعمها عليه منها ما يصلحه هو لفكرته لئلا يتعطل فائدة الفكر فيكون وجودنا عبثًا ، وتأمل في حال مريم وقد جعل لها من الرطب ما كفاها مؤنة الطلب ، وفيه أعظم معجزة ، فإنه لم يخلها من أن أمرها بهزه فقال تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[2] وقد أخذ بعضهم منه إشارة إلى أن الرزق من الله، وسبب تسببيًا

---

(١) راحتي الثانية بمعنى يدي .

(٢) سورة مريم: ٢٥.

عاديًا بالطلب من العبد ومباشرة أسبابه، ألم تر أن الله قال لمريم: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ وشاء لجنى الجزع من غير هزه إليها ولكن لكل شيء سبب، وعن أبي الأسود الدؤلي[1]:

وَلَيْسَ الرّزقُ عن طَلَبٍ حَثِيثٍ .... وَلكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ فِي الدِّلاَءِ

تجِيءُ بِمِلْئِهَا طَـوْرَاً وطَــوْرَاً .... تجِيء بِحَمْأةٍ وَقَلِيلِ مَـاءِ [2]

---

(١) أبو الأسود الدؤلي (١ ق هـ - ٦٩ هـ) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني؛ واضع علم النحو. كان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان. رسم له علي بن أبي طالب شيئًا من أصول النحو، فكتب فيه أبو الاسود. وهو - في أكثر الأقوال - أول من نقط المصحف. وله شعر جيد، في (ديوان ط) صغير، أشهره أبيات يقول فيها: (لا تنه عن خلق وتأتي مثله) مات بالبصرة. راجع [الأعلام للزركلي(٣ /٢٣٦)].

(٢) البيتان لأبي الأسود الدؤلي. وهو في البصائر ٢ /٦٠٦؛ والمحاسن والمساوئ للبيهقي ص ٢٨٦.

والشعر يقوله أبو الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب. وكان أبوه عذله على توكله وقلة تصرفه، فقال له: إن كان لي رزق فسيأتي، فقال البيتين. وانظر: [فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ، لأبي عبيد البكري ص ٢٩٣، ط مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٩٨٣].

وقد ورد في الخبر عن خير البشر أنه قال : "إن الله يقول: يا عبدي حرك يدك أنزل عليك الرزق[1]".

وكون حركة العبد من الله تعالى لا ينافي طلبها منه، كيف وهو مأمور بها؛ وحقيقة الأمر الطلب على ما حققت في موضعه، ومن هنا اتضح وجه الإشكال في جواب المسألة القائلة: لو قال رجل: الرزق على الله ولكن " **ازيبنده جنبش خواهتد**[2]" بهذا شرك[3]، وتعليله الذي ذكره صاحب "الخلاصة" بقوله: لأن حركة العبد أيضًا من الله، ولا يقال: إن من قال بهذا مشرك؛ لأنه قولٌ باستعانة الله بالعبد؛ والمفهوم عن الكلام المرقوم تشريكه

---

(١) ليس بحديث؛ وقد ذكره الماوردي في كتاب "أدب الدنيا والدين" ص ١٤٦ من قول سفيان الثوري قال: مكتوب في التوراة ... وذكره.

(٢) جمله فارسية بمعنى : سوف تصبح.

(٣) المعنى المقصود أن الأخذ بالأسباب لا يتعارض مع كمال التوكل أو أصل التوكل على الله، فحركة اليد لطلب الرزق ليست شركًا أو قدحًا في التوكل، فالتوكل هو الأخذ بالأسباب مع صدق اعتماد القلب على الله. فلا ينبغي الاعتماد على السبب وحده؛ وكذا لا ينبغي ترك الأخذ بالسبب.

بالله تعالى في الخلق لأنا نقول قد عرفت فيما سبق أن له محلًا آخر لا خلل فيه أصلًا، والأصل فيما له وجوه أن الصواب : أن لا يُقْدَمُ على التخطئة فضلًا عن التكفير؛ ثم إن التعليل موجبه الخطأ لا الشرك، وإيّاك أن تتوهَّم أن الأمر الوارد في قوله تعالى: ﴿فتوكل على الله﴾ بالتوكل الذي مرجعه إلى كلة الأمر كله إلى مالكه والتعويل على وكالته يستلزم النهي عن التوسل بالكسب وأسبابه؛ لأن التوسل إسقاط الأسباب عن حيز الاعتداد بها والاعتماد عليها ؛ والاستظهار بإدخال الدخائر لا إسقاطها عن حيز الإمداد على الوجه المعتاد؛ وقد أشار النبي ﷺ إلى أن التوكل ليس التعطل بل لابد فيه من التوسل بنوع من السبب حيث قال ﷺ: " لو أنكم تتوكلون على الله حق التوكل لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصًا وتعود بطانًا"[1] فإن الطير رزق بالطلب

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد برقم(٢٠٥) (٣٧٠)(٣٧٣) ، وابن ماجة (٤١٦٤) في الزهد: باب التوكل واليقين، والنسائي في السنن الكبرى برقم(١١٨٠٥) وابن المبارك في "الزهد" برقم(٥٥٩)، ومن طريقه الترمذي (٢٣٤٤) في الزهد: باب في التوكل على الله، وأبو نعيم في "الحلية"(٦٩/١٠)، والبغوي في "شرح السُّنة" (٤١٠٨)، والقضاعي في "مسند الشهاب" (١٤٤٤) و(١٤٤٥) وابن حبان في صحيحه(٧٣٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والسعي، فإن قلت ما القول في قوله: الرزق مقسوم فلا ترحل له، والموت محتوم فلا توجل به" .

ومن قال : "رزق بو برتو زتو عاشق تراست رو توكل كن ملرزان يا ودست كرتو نشتابي بيايد بردرت ورتو يشتابي دهد د رد سرت[1]".

ومن قال: "**نصيبك يصيبك در بي آن كه بيموده كشت رنجه مشو جون قلم أسودة كشت**" ؛ قلتُ: القولُ ما قالتْ حذام[2] ، والكلام المنقول عن الفحول الأعلام لا يعارض الخبر المروي عن خير الأنام، "وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل[3]"، وإذ قد عرفنا ما شرعنا فيه فلنختم المقالة في هذه الرسالة بتفسير ما

---

(١) لغة تركية بالحروف العربية: والمعني: نثق بأن الرزق سيأتي بالتوكل بدون سعي.

(٢) مثل مشهور عند العرب، وأصله بيت شعر:

إذا قالت حذام فصدِّقوها ... فإنَّ القولَ ما قالَتْ حذام

(٣) مثل سائر؛ وقصته : أن عمر رضي الله عنه رأى أن يحفر لأهل البصرة نهرا آخر، فأمر أبا موسى بحفره، وأن يجريه على يد معقل بن يسار المزني رضي الله عنه، فاحتفره معقلٌ، فنسب إليه وسمِّي "نهر معقل" ، و فيه المثل المشهور "اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل".

راجع: محمد بن سعد في الطبقات(٥ /١٤٩) (٩/ ١٤) .

تقدم ذكره في مقام الاستدلال في قوله تعالى:﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ على وجه يقتضيه الدراية وتخصه الرواية، وتقرير ما يُحَل به الإشكال؛ ويضمحل القيل والقال ولنقدم أمام الكلام مقدمة لابد من تقديمها على الشروع في تحقيق المثال في هذا المقام ومتى أنه يجوز للمؤمن أن يجعل ثواب عمله لغيره عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله وأحمد بن حنبل ومن تابعهم من الأئمة المجتهدين وقد روي في الصحيحين للبخاري ومسلم : "أن النبي ﷺ ضَحَّى بكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ؛ أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته"[1] ، أي جعل ثوابه لهم، وذكر عبد الحق[2] صاحب "الأحكام" في العاقبة: روي عن

---

(١) أخرجه البخاري(١٥٥١) (١٧١٢)(١٧١٤)(٥٥٥٤)(٥٥٥٨) ومسلم(١٩٦٦) عن أنس رضي الله عنه، وزيادة " أحدهما عن نفسه والآخر عن أمته" ليست في الصحيحين؛ وأخرج أحمد(٢٥٨٤٣) (٢٥٨٨٦) وابن ماجه(٣١٢٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ضَحَّى اشْتَرَى كَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ سَمِينَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوأَيْنِ؛ قَالَ: فَيَذْبَحُ أَحَدَهُمَا عَنْ أُمَّتِهِ مِمَّنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَشَهِدَ لَهُ بِالْبَلَاغِ وَيَذْبَحُ الْآخَرَ عَنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.

(٢) عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأَزْدي الإشبيلي، أبو محمد، المعروف بابن الخراط. من علماء الأندلس. له: "المعتلّ من الحديث" ؛ "الأحكام الشرعية" ثلاثة كتب، كبرى وصغرى ووسطى. وغيرها كثير. وأصابته محنة فتوفي على أثرها في بجاية. نقلا عن: «الأعلام» للزركلي.

النبي ﷺ: أن الميت في القبر كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من ابنه أو أخيه أو صديق فإذا لحقه كان أحب إلينا من الدنيا وما فيها[1]، وروى الدارقطني عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : من مر على المقابر فقرأ " **قل هو الله أحد**" أحد عشر مرات ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات[2] .

وفي شرح السنة[3] روي عن أبي هريرة أنه قال: يموت الرجل ويدع ولدا فترفع له درجة فيقول يا رب بهذا؟ فيقول: استغفار ولدك لك"[4] ، وقال الله

---

(١) منكر: أخرجه البيهقي في "شُعب الإيمان" (٧٥٢٧)(٨٨٥٥) وعزاه السيوطي في "جمع الجوامع" (٢٠/ ٧٤١) إلى أبي الشيخ في "فوائده " وإلى البيهقي ؛ وقال: غريب تفرد به، وفيه محمد بن جابر أبي عياش المصيصي؛ وقال في "الميزان": لا أعرفه، قال: وهذا الخبر منكر جدا".

(٢) موضوع: لم أجده في كتب الدارقطني التي بين يدي؛ وأخرجه أبو محمد الخلال في "فضائل سورة الإخلاص" رقم (٥٤) وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٢٩٠) : موضوع.

(٣) شرح السنة للبغوي (١٩٧/٥) رقم (١٣٩٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٠٦١٠) وابن أبي شيبة في "المصنف" (١٢٠٨١) (٢٩٧٤٠) والطبراني في "الدعاء" (١٢٤٩) وفي "المعجم الأوسط" (٥١٠٨) وابن أبي الدنيا في "صفة الجنة" (١٨١) واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد اهل السنة" (١٢٢٦/٦) رقم (٢١٧١).

تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾[1] ويفهم من هذا أن استغفارهم للمؤمنين مفيد، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[2] دل على أن الدعاء ينفعهم، وأن النبي ﷺ شفيع مشفع يوم المحشر تنفع شفاعته عصاة المؤمنين[3]؛ وأن العلماء قد أجمعوا على أن المسلم يؤجر على الأمراض والأعراض حتى الشوكة يشاكها يرفع بها درجة ويحط عنه بها خطيئة[4] ، وإذا تقرر هذا فنقول لا يجوز أن يكون معنى القول المذكور الظاهر منه المتبادر من أنه لا ينفع الإنسان إلا عمله، كما لا يضره إلا عمله لأنه منقوض، وقد نبهت

---

(١) سورة التوبة : ١١٣.

(٢) سورة الحشر: ١٠ .

(٣) أخرج أبو داود والترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

(٤) أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا».

عليها آنفًا بل المعنى والله اعلم لا أجر للإنسان إلا أجر عمله كما لا وزر إلا وزر عمله على تقدير المضاف وعلى طريق المجاز وما يصل إلى الإنسان في الصورة المذكورة ليس من قبيل الأجر على العمل فلا يرد النقض بها وأما الذي ذكره الإمام البيضاوي[1] في "تفسيره" بقوله: انه كما لا يؤخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وفي الأخبار أن الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي كالنائب عنه؛ فمع ما في تعليله[2] من الضعف الظاهر لا يندفع به الإشكال بحذافيره كما لا يخفى.

تمت الرسالة لابن كمال باشا المعمولة في مدح السعي وذم البطالة

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد الشِّيرَازِيّ البَيْضَاوِيّ، أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدين، والبَيْضَاويّ نسبة إلى مدينة البيضاء بفارس من عمل شيراز، من مؤلفاته: التفسير "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وغير ذلك.

(٢) أي تعليل البيضاوي.

المحتويات

مقدمة التحقيق ٣

ترجمة المؤلف ٥

صور المخطوطات ١١

مقدمة المؤلف ١٩

المحتويات ٣٤

افرأ للمحقق

"الأحاديث الأربعين في قضاء حوائج المسلمين" للإمام المنذري

بتحقيق أبي عاصم البركاتي المصري